مصطفى حيدر، صقل الريشة في الجنوب أحلم بالبحر والاقتراب منه

تجويد لوني في المائية.

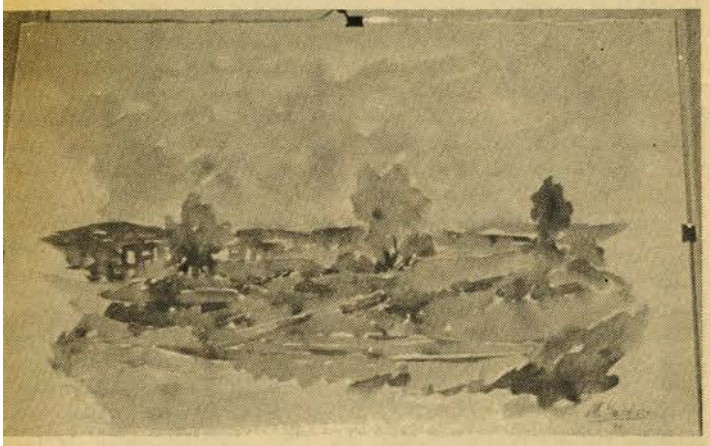

طبيعة صامتة.

بنات الالهة او في الجنة.

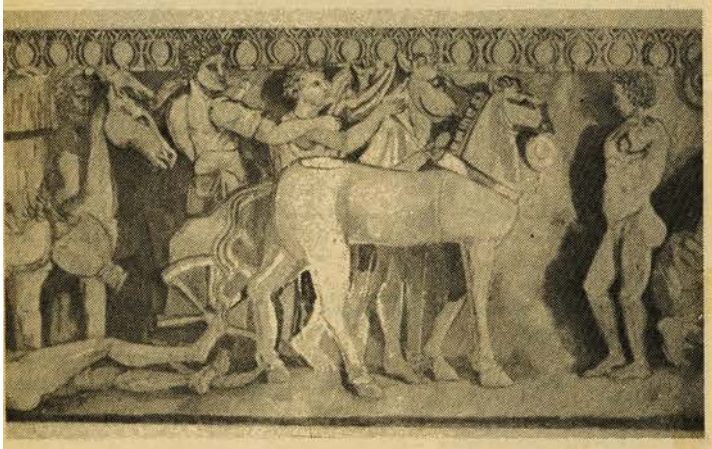

جزء من ملحمة هوميروس.

كثيرون هم الفنانون الذين راهنوا على المكان. المكان حيز للتحفيز الفني. مصطفى حيدر راهن على صور، على صيدا ابتغاء لوحة لها حضورها الخاص، فنجح لكن في اكتشاف هواه. وهواه كان "المائية"، وصيدا وصور في أي حال مدينتان مائيتان.

لكن لحيدر تجاريب أخرى تذهب جريئة حتى تقنية الرش. مؤخراً اقام حيدر معرضاً بعنوان "مناخات" في المركز الثقافي الفرنسي في صيدا، وكانت منا اسئلة لفنان راودته بيروت أيضاً زمناً مدرّساً في معهد الفنون، لكنها لم تنتزعه من غواية الأطراف رغم أن الكفة في بلد مثل لبنان تميل جمالياً لمصلحة المركز. بدأت هذه الاسئلة مكتوبة ثم كان لا بد من تدخل حواري مباشر على الاجوبة.

● بك مزاجية تنحو من جرعة طيبة من الفردية الى مشارف الانسحاق، أو اذا شئت التواضع الجم. هذه الثنائية تعكس نفسها في عصب اللوحة عندك وفي طريقة ادائك لها.

– ولعي ان امحو وازيل وجودي النفسي مفسحاً للمعنى ان يملي ذاته وأن يتجلى بأرق ما يمكن الوصول اليه في التعبير الجمالي. لذا التآلف بين الحياة والخلق، والذهاب الى التواضع الجم مطلب اساسي في الفن. لا يمكنك الارتقاء اذا لم تصل الى درجة التلاشي والانتفاء بمحبة في ما يحيط بك لتطل باسلوبك وموضوعك. ويبقى انصهار تلك الجمالية بأشكال أكثر صفاء وإيغالا.

كل محطة دارساً وباحثاً ومتأثراً بما أبدعوه وسجلوه. على صعيدنا اللبناني تعلمت شيئاً واحداً، إننا حديثو العلاقة بالفن الاكاديمي النهضوي.

علاقتي الاكاديمية كانت في ١٩٥٨ بقيصر الجميّل ونقولا النمار. اثناء الدراسة تعرفت على المدارس الفنية من الكلاسيكية وصولا الى التجريد، وصقلت تجربتي لاسيما من خلال ممارسة رسم النماذج متأثراً بالفنان انغر.

كانت الدراسة في ذلك الوقت تختلف عما هي عليه الآن. بين ١٩٥٨ و١٩٦٢ خبرنا ما معنى ان عشر ساعات أو أكثر في الرسم والتلوين غير كافية. والأقرب اليّ من الفنانين سيزان وغوغان وماتيس، الى جانب رودان. والخلاصة، أحاول بناء نص اكثر حداثة لا يفرّق بين الانطباعة والتنقيطية والوحشية.

● علاقتك بواقع التشكيل اليوم؟

– لا بد ان يكون لنا نبرة في التعبير، خصوصاً في التعبير عن آفاق الفن. أن مداعبة الريشة للوحة وحدها لا تكفي وكذا هندسة بنائها. وهذا يعني اننا لا نزال نحاول الخروج، أو اننا ما زلنا في الرتابة النهضوية الماضية، مع انها ضرورية من زاوية الدراسة الاكاديمية. لذا انفجرت من داخلي الصرخة، أو التعبير المباشر، أو الضربة في ريشة اللون أو الرسم، خاصة في المائية.

اذا نظرنا جيداً اليوم الى معارض ومسارح وكتابات، ماذا نجد غير قلة من الاعمال المتنبئة الفنانين الآخرين الى معارض مثل "بينال الاسكندرية" وغيره.

● اشتغلت على ما يشبه تقنية "الرش" فكانت تأليفات بها "متانة" ما، أيمكن للآلة أو التقنية ان تملي ذاتها على الفنان وأن تقوده؟

– تقنية "الرش" لا تتميز بأية قدرة توجيه غير طبيعية عن غيرها، انما تحمل امكانات لاستخدامها في ايجاد حلول لإشكالات جمالية وإنسانية مطروحة.

اقول ان على المشاهد ان يأخذ عملي الفني كما هو، وان يتمتع به. لي كل الحرية في التجريب كما اشاء. ان نوازع الحرية تدفعني بعيداً في الأنسنة وفي الرحاب الكوني. ان الكون في ذاتي كما انني في هذا الكون. وشعوري ان ما يقودني في هذا التفتيش هو الحب، أو اذا شئت المحبة، وكذلك الخوف من البكاء في هدأة السكون. ان بصيص النور أتحسسه في أعماق كل فرد يقودني نحو مزيد من الانسنة. دائماً أسأل نفسي ماذا كان يمكنني ان أفعل في هذا الوجود لو لم أكن أخربش.

● لنفترض ان اقامتك في الاطراف أتت متميزة. انطلاقاً من خصوصية كل من الخط واللون ومن تموضع العناصر في اللوحة، كيف يمكن في رأيك مشارفة جديد في المائية لاسيما ازاء ذاك الكم الكثير من اللوحات؟

– ما تسألني اياه اقول انه هم كبير يلازمني مع كل مشروع لوحة أو نص تشكيلي. ليس فينشي. نحن امام تجارب متطورة في الاختزال، وحضور شخصي لفنان ما.

هناك لغة عالمية نشعر بأنها سوف تنوجد لكن ملامحها الظاهرة قليلة نستشفها في بعض الاعمال والكتابات المتململة المتمردة.

● تردد عبارة شعرية لونية، مفهومك لها؟

– اللوحة يحكمها من الاساس عنصران: التوازن والحس الموسيقي، لذلك يقال بيكاسو رسام وليس بملوّن، بينما رمبرانت ومانيه ملوّنان، ويجمعهم الشاعرية في المناخ النهائي للوحة. والشعر يتجلى باللون المعبر عن النور.

وإلا ما معنى العلاقة في الفن بين الموسيقى والشعر والرسم والباليه. التآلف والحوار بين فروع الفن ضرورة للوصول الى الكمال. يقول الشاعر مثلا "انها القمر"، هنا الصورة الذهنية تربط الحبيبة بالقمر، والرسام اذا رسم الموضوع يبقى رمزاً ما لم تحركه موسيقى اللون أو الشعر.

سُئل رودان يوماً، ماذا يعني لك الفن، فقال، "ان امسك بحجر وأهذبه". وسُئل ماذا عن الخلق والجمال، قال، "حين انظر الى امرأة تمشط شعرها الطويل ووراءها النور، اشعر وكأن شلالات من النور أو النجوم تتساقط منه".

● حادثه: فوزي محيدلي

هو

الثالثة للفن التشكيلي في الستينات الى اليوم كيف ملأتها؟

– اذكر عشقي منذ الصغر لملاحقة النور. في بيروت كانت النوافذ بلا مدى يطلق راحة النظر، ثم أتت مرحلة المدن الصغيرة في الاطلالة على مدارج النور.

أولى الاطلالات في الخارج كانت على معرض "بينال الاسكندرية" لدول البحر الابيض المتوسط سنوات ١٩٦٣ و١٩٦٥ و١٩٦٨. حزت الجائزة البرونزية سنة ١٩٦٣. واذكر ما كتبه الناقد الفني لجريدة "الاهرام" في ذلك الوقت، ان الفنان مصطفى حيدر "يفكك العمارة العربية ويعيد بناءها".

اشتركت في معارض وزارة التربية للربيع والخريف منذ سنة ١٩٥٩ حتى ١٩٧٥، هذا عدا المعارض الفردية والجماعية في اكثر من مكان. وفي ١٩٦٣ سافرت لفترة وجيزة الى اسبانيا لتحصيل حر.

● لِمَ الجنوب بالتحديد إقامة لرسام مثلك؟

– منذ صغري كنت اقرأ، وأنا البعلبكي، عن أليسار ومدينتي صيدا وصور، وعن قدموس وزينون والقلاع البحرية. في البقاع كانت الجبال من حولي وكنت احلم بالبحر والاقتراب منه، لذلك كانت حياتي في صيدا وصور رحلة شوق جمالي النزعة. واليوم، وبعد الإطلاع والتجريب وجدت أن صقل الريشة هو في الجنوب. الجنوب جعلني أخرج بلا وجل على قماشة اللوحة قلقي المتمكن مني أبداً.

● أترى تحفيزاً للفنان التشكيلي في الاطراف، خارج العاصمة ولاسيما عاصمة كبيروت؟

– بيروت هذه العاصمة وما كانته في الماضي، ماذا تعني الاقامة فيها الآن؟ أتأمل فيها الرتابة والافكار الهالكة، اما النقد الفني فيها فلا يزال سجين المزاجية، "أحبك أو أكرهك".

بيروت الآن مدينة ادارية وليست عاصمة الابداع، انها تسقط حالياً تحت انقاض التاريخ. أنها مدينة خردة، مرآب، اما العاصمة في الصفاء فهي الاطراف.

● ولكن النقد التشكيلي في بيروت كان حافزاً لأعمال الكثيرين، حتى للعرب، وخفوت الحالة التشكيلية لظروف قاسية لا يكفي لإصدار حكم قاطع، ولاسيما ان الفن التشكيلي العربي بدأ يعود ليتنشق "حالة" بيروت.

– في الستينات لعبت بيروت دوراً ريادياً في صقل التجارب الفنية المصبوغة بالانفتاح وتبادل المعلومات التقنية. كنا ندخل بعضنا الى محترفات بعضنا. بلا خشية أو حواجز. وعلى الصعيد الصحافي كانت هناك اقلام تقرأ عالمياً، ويشعر الفنان فينا أنه يشكل حالة أو دوراً في بناء ثقافة تحض على رفعة جمالية على المدى البعيد.

اما سنوات الحرب فكانت شبه قاتلة للفنون وللثقافة والمثقفين، وهاجرت أقلام، وبقيت اقلام تحاول توضيح اعمال ومعالم لبعض الرسامين مقابل التعتيم على البعض الآخر.

● أكثر ما يلفت ان التجويد اللوني عندك هو في المائية، ولكنك تستعجلها جداً أحياناً حتى ليأتي عملك فيه قلة صبر ملحوظ.

– انكر ان استاذي عمر الانسي كان يقول لي، "المائية هي لحظات الشعر عند الرسام". المائية عندي هي الخلاصة في الدمج الجمالي والتخفيف من الرمزية التي قادتنا نحو القصصية. أنحو في اتجاه الاختصار الايجازي، اتجاه شعرية لونية لها ايقاعها، اما ما تقوله من استعجال، فأشرحه بأن ضربة الريشة في المائية يجب ان تكون سريعة خاطفة، لا تعاد.

لا شيء عندي يأتي من هباء. العمل الفني يأخذ مني وقتاً طويلاً، بل إنه يأخذ وقتي كله، وحتى حينما لا ارسم أحيا وأعيش رحلة التأمل الدائم في ما حولي وما يعتمل في اعماقي. أتجول عبر العصور، وأغور أحياناً في التاريخ. اعجابي كان بالسومريين و"العين" الواسعة المفتوحة على ابعاد الكون. وتوقفت فترات عند بمستقبل استشرافي. اما البقية فتعرض الحرفية الجيدة والنظافة التقنية باسم اللوحة مثلا أو الكتابة، من اجل الاستهلاك والتسويق. اعتقد ان هناك خللا ولسنا وحدنا نتخبط انما الحركة الفنية العالمية أيضاً.

ان بعض الشرقطات هنا وهناك تجعلنا نأمل أبداعات وخلقاً جديداً، وهذا مستبعد في الوقت القريب، ربما علينا انتظار أجيال لاكتشاف لغة واحدة جديدة وكونية.

وعلى صعيدنا الآني في لبنان هناك صعوبة للوصول الى حالة راقية من التنظيم والتخطيط، لإيجاد "كادر" يعتني بالشأن الثقافي والفنون التشكيلية. في الماضي غير البعيد كان هناك "كادر" يتألف من امثال جوزف ابو رزق وسعيد أ. عقل، مسؤولين عن دائرة الفنون في وزارة التربية. ويتمتع ابو رزق بثقافة مترامية، واذكر ان نقولا النمار ورشيد وهبي كانا يعملان على جمع شمل الفنانين كي لا تفوتنا أية فرصة لعرض ثقافتنا التشكيلية في عواصم العالم. كما ان وجيه نحلة كان له فضل في نقل اعمال

بالشيء المين القول اني حالة فريدة، لكنني حالة فريدة، والحياة التي نعيشها قصيرة امام ما ينتظرنا من الاحلام الرائعة.

اعتقد ان لغتي هي التعبيرية. كل ما درسته ومارسته في حياتي كان بناؤه الاساسي رسم النماذج ودراسة الظل والنور، والنظافة، والملاحقة المستمرة لمواضيع الطبيعة. كلها انطبعت بحالة خاصة تجلت بضربة الفرشاة. وفي المائية تجلت الشفافية والانطباعات الداخلية في لعبة التطور التعبيري، وكذلك الوصول الى لغة تعبر عن مصطفى حيدر.

وهمّي دائماً كيف اجمع بين الرسم واللون في المائية. في الرسم يمكن احياناً ان يتدخل العقل بكثافة في التوجيه، بينما في المائية الضربة المباشرة هي الاساس.

اريد ضربة لونية تختزل تجارب ومعارف انسانية وجمالية رحبة لها بعدها في اللغة الكونية الجديدة.

ان المحطات التاريخية انتهت. لم يبق من امثال لبيكاسو أو رمبرانت، أو ليوناردو دي

– تخرج من الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة عام ١٩٦٣.

– اشترك في معارض: "بينال الاسكندرية"، وفي معارض التبادل الثقافي في كل من النمسا ويوغوسلافيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا والسويد وايطاليا.

– معرض فردي في فرنسا ١٩٧٨، معرض في ولايات أميركية ١٩٧٣. لوحتان في متحف جامعة ولاية كنساس.

– معارض خاصة في لبنان، جمعية الفنانين، الكارلتون، الصالة الزجاجية وزارة السياحة، متحف سرسق (١٩٦٨، ١٩٧٠، و١٩٧٢).

– درّس في معهد الفنون – الجامعة اللبنانية منذ ١٩٦٧ – ١٩٨٨.

– له رسومات على جدران شوارع مدينة صور.

S'affirmer
dans l'**optique**
après
55 ans
de **succès.**
Et vous
le prouver...

LUNETTERIE - VERRES de CONTACT - SURDITÉ

ACHRAFIEH, Zahret el Ihsan
JOUNIEH, Stella Maris
BROUMMANA, Rizk Plaza

OPTICA
A & A BECHIR

TELEP